أثر استعمال الألفاظ الأجنبية في لغة التخاطب الجزائرية

عبد الرؤوف محمدي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة ورقلة -الجزائر

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i2.366

الملخص

يتميّز المشهد اللغوي في الجزائر بانتشار واسع لظاهرتي التعدد اللغوي والازدواجية اللغوية، فبالإضافة إلى اللغة العربية بلهجاتها، نجد اللغة الأمازيغية بلهجاتها المنتشرة في مناطق جغرافية مختلفة، فضلا عن اللغة الفرنسية التي بسطت نفوذها في الإدارة والتعليم ولغة التخاطب حتى.

نحاول في هذه المداخلة تقديم نماذج من الألفاظ الفرنسية المستعملة في اللغة المتداولة عند الجزائريين منطلقين من إشكالية نسعى من خلالها إلى الإجابة عن التساؤل الآتي: ما أثر استعمال الألفاظ الأجنبية في لغة التخاطب الجزائرية وما الأسباب المفضية إلى ذلك؟

وقد خلصنا إلى نتائج أهمها: إن التساهل في استعمال الألفاظ الأجنبية من دون ضرورة له آثار سلبية على التفكير وعلى الثقافة الجزائرية، لذلك فإن اللجوء إلى استعمال اللفظ الأجنبي إنما يكون عند فقد المقابل باللهجة الجزائرية، ولا يكون إلا بالقدر الذي يتيح لنا التواصل والتعبير عن الأغراض.

مقدمة

عرفت منطقة الشمال الإفريقي هجرات عديدة، وتعرضت إلى حملات عبر مختلف العصور إذ بدأت مع الفينيقيين، والرومان والبيزنطيين، والوندال والفتح الإسلامي الذي تخللته هجرات على فترات متفاوتة ومراحل متعددة بداية بالفاتح الإسلامي عقبة بن نافع ثم نزوح الهلاليين وبني سليم، والوجود العثماني، إلى أن جاء الاحتلال الفرنسي الذي بسط هيمنته على المنطقة منتهجا سياسة جديدة مست أركان الهوية العربية الإسلامية، وحارب كل ماله صلة بالدين الإسلامي وبخاصة اللغة العربية.

لقد انتهج المحتل منذ قدومه إلى الجزائر سياسة تهدف إلى زرع الفتنة بين الجزائريين والتفريق بينهم على أساس العرق، أو اللون، أو اللغة، وجعل من الأمازيغية قضية إذ لم تُثَر من قبل، ولم تكن مشكلة اللغة واختلافها، أو أولوية لغة وأسبقيتها على لغة أمرا مطروحا البتة، بل على العكس من ذلك فقد تعايش العرب مع الأمازيغ، وتبوّأت العربية مكانة في قلوب الجزائريين كونها لغة الإسلام ولغة القرآن، ولذلك فإن الإسلام لم يفرض قيودا على اللغة الأمازيغية، ولم يمنع الأمازيغ – كما لم يمنع أمما أخرى من قبل- من استعمال لغتهم أو التواصل بها.

إننا ندرك لا محالة أن الإسلام يقر باختلاف الألسنة والألوان ويعدّها آية من آيات الله، قال تعالى:﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ سورة الروم الآية22.

إنّ في تعلم اللغات مصلحة للدّين وحفظا للأمن وضرورة قد تقتضيها مصلحة الأمة، فكما جاء في الأثر "من تعلم لغة قوم أمن شرهم".

وممّا يؤكد ما ذهبنا إليه هو التعايش السلمي بين العرب والأمازيغ وذلك بفضل التقارب وبعض نقاط التشابه بينهما في كثير من متطلبات الحياة وأمور المعيشة والعادات والتقاليد واللباس وغيرها، ولقد أشار (قوتييه) (Goutier) إلى أن " الجاذبية التي كانت بين المسلمين العرب والأمازيغ هو نتيجة التشابه في الحياة والشعور الأساسي الذي غلب الاختلافات اللسانية"(بوقرة، 2003، ص133).

لقد ورث الجزائريون من الاحتلال الفرنسي واقعا لغويا يتسم بالتعدد، فهو يعرف ثنائية لغوية بين العربية والفرنسية، وازدواجية بين اللهجات: إذ توجد العربية والفرنسية والأمازيغية بالإضافة إلى الازدواجية اللغوية بين العربية ولهجاتها، والأمازيغية ولهجاتها وتتحكم في هذا التعدّد عوامل كثيرة، من أبرزها العوامل الجغرافية، واختلاف الثقافة، ومستوى التعليم.

وعلى العموم فإن اللغات الموجودة في الجزائر، هي: العربية العامية بلهجاتها، والأمازيغية ولهجاتها: (القبائلية، والشاوية، والميزابية، والترقية، والشلحية و...)، والفرنسية" وقد نجم عن هذا الثراء اللغوي ظواهر لغوية محلية تعدّ نتيجة امتزاج هذه اللغات، إذ تتلون اللغة العربية بسبب مجاورتها للهجات المحلية واللغة الفرنسية، فتختلط وتتداخل معها حينا، وتتباين وتنفصل عنها أحيانا تبعا للسياق ومجال الاستعمال وللمستعمل، وما يهدف إليه" (آيت عبد السلام، 2014، ص325).

أولا: مصطلحات الدراسة

لنحظى بمزيد بيان يحسن بنا في البدء تقديم تعريف لأهم المصطلحات الواردة في البحث، ومن ثمّ نعرّج على التداخل اللغوي والمزج اللغوي الذي هو أساس الدراسة.

1-لغة التخاطب اليومي العفوية:

لغة التخاطب العفوي هي الأكثر استعمالا لأنها لغة الحياة اليومية العادية، لذلك كان لابد من أن تكون أخف على الألسنة بالنسبة للغة المحرّرة "ولغة الثقافة في أيامنا"، وهذا لا يخص اللغة في بنيتها ونظامها فحسب، بل يخص طريقة استعمالها، وكيفية النطق بها أيضا.

ولغة التخاطب أقل كلفة ومؤونة لأنها لا ترتبط بكتابة، أو إعداد مسبق كما في النصوص المحرّرة، إذ هي إدراج، أي تسلسل عفوي لمدرج الكلام يسوده التخفيف لعفويته ولم يكن ذلك لحنا(الحاج صالح، 2012، ص184، 185).

2-العامية:

جاء في تعريفها عند إبراهيم أنيس هي: " عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" (أنيس، 2003، ص15).

وفي تعريف آخر هي: " نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة يتميّز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامة"(داوود، 2001، ص64).

وبالرجوع إلى الواقع اللغوي في الوطن العربي نجد أن هذه العامية في واقع الأمر عاميات فعامية الجزائر غير عامية مصر وعامية الشام غير عامية السودان وهكذا، بل قد يمتد الاختلاف إلى العامية نفسها في البلد الواحد، فعندنا في الجزائر عامية الشرق غير عامية

الغرب، وعامية الجنوب غير عامية الوسط، إذ لكل واحدة منها خصائص تميّزها عن العاميات الأخرى. ويحدث التمايز سواء على مستوى الأصوات أو مستوى الكلمات ودلالاتها ومستوى القواعد، وهو النمط الغالب، يستعمله الرجل في بيته، وفي حديثه مع أهله ويستعمله التاجر في السوق والعامل في المصنع... وفي معظم المواقف والأحوال الخطابية.

3-الأمازيغية:

وهي لغة سكان الجزائر الأصليين قبل الفتح الإسلامي، ويطلق على الناطقين بها المازيغ، أو الأمازيغ، ولها امتداد لساني كبير في شمال إفريقيا والنيجر ومالي، وتتفرع في الجزائر إلى لهجات بحسب المناطق الجغرافية، منها: القبائلية، والشاوية، والميزابية، والترقية...

4-التعدد اللغوي:

بمفهومه العام هو استعمال لغتين أو مجموعة من اللغات لتحقيق أغراض تواصلية، ويعني هذا أنه قد تدرج الثنائية اللغوية ضمن هذا المفهوم.

ولابد من الإشارة ههنا إلى أن التعدد اللغوي هو ظاهرة موجودة في الجزائر وفي أغلب البلدان العربية، وقد تركت تأثيرا على الاستعمال اللغوي، فنتج عنه ظواهر كثيرة، منها: التداخل اللغوي أو ما يعرف بالهجين اللغوي الذي نلحظه في الممارسات اللغوية ولغة التخاطب المتداولة التي غلبت عليها أنماط لغوية مختلفة منها العربية الفصحى والدارجة واللغات الأجنبية.

ومن الواضح أن التعدد اللغوي له أسباب تتحكم فيه، وتسهم في انتشاره ولاسيما الغزو أو الاحتلال الذي عادة ما يكون سببا مباشرا، إذ ينتج عنه محاولة فرض المحتل لغته على الشعوب المقهورة كما حدث في الجزائر حين حاول المستعمر فرض الفرنسية على الجزائريين وقيّد العربية وضيّق دائرة استعمالها. إلا أنه قد يحدث العكس إذ يضطر المغلوب إلى تقليد الغالب واستعمال لغته.

ومن أسباب انتشار التعدد اللغوي ما تتعرض له بعض الشعوب عند الهجرات أو النزوح، والتنقلات الجماعية وعلى سبيل المثال ما حدث في مصر وبلدان المغرب العربي عند نزوح الهلاليين وقبائل بني سليم الذين كان لهم الفضل في تعريب بلاد المغرب وانتشار العربية، وعلى حدّ تعبير البشير الإبراهيمي أنهم "خرّبوا ولكنهم عرّبوا".

وعلى النقيض من ذلك فقد ينشأ التعدّد اللغوي داخل الوطن الواحد من رفض لغة الآخر ورفض الاندماج معه والانغلاق، وينشأ التقوقع والعزلة، فتضطر كل جماعة لغوية إلى الحفاظ على لغتها، وقد تنشأ جزر لغوية.

فالتعدد اللغوي كما يجب أن ينظر إليه هو ظاهرة طبيعية في كل البلدان قد تتطلبها الحياة الاجتماعية ويتطلبها التواصل وتبادل المنفعة، فإن بقيت بصورة طبيعية نابعة من متطلبات المجتمع المتطلّع إلى المعرفة الإنسانية واحتياجاته فهي ظاهرة صحيّة لا ضرر فيها ولا خطر، وأمّا أن يسلك مسلكا سياسيا أو إيديولوجيا لتحقيق مآرب أخرى تحت أقنعة مختلفة فذلك هو المسخ الثقافي والحضاري والاستعمار في صورة جديدة.(حساين، 2012، ص423)

5-التداخل اللغوي:

هو ظاهرة لغوية لها جذور في المصادر العربية القديمة ويتّخذ عدّة أسماء، فقد يعرف بالتداخل أو المزج اللغوي أو الهجين اللغوي، وقد أشار إليه الجاحظ بقوله: "واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضّيم على صاحبتها"(الجاحظ، 1984، ص284).

وأفرد إليه السيوطي في المزهر بابا أسماه باب معرفة تداخل اللغات، وأشار فيه إلى تعريف ابن جني له بقوله: "إذا اجتمع في الكلام الفصيح لغتان فصاعدا" (ابن جني، 1956، ص372). فهو إذا ظاهرة منتشرة كثيرا في اللغات، إلا أنه في لغة التخاطب في بلاد المغرب العربي والجزائر على وجه الخصوص يعد ظاهرة بارزة بحكم التأثر باللغة الفرنسية والكم الهائل من المفردات المستعملة في لغة التخاطب. وبغض النظر عن هذا ومن زاوية أخرى يمكن اعتبار التداخل اللغوي " ظاهرة لغوية يمكن أن تكون ضرورية للاطلاع على مظاهر تطور اللغات وكشف مبادئ ذلك التطور وقواعده" (النصراوي، 2014، ص106).

6-المزج اللغوي:

وهو نوع من أنواع التداخل اللغوي ينتشر بكثرة في لغة التخاطب اليومية في بلدان المغرب العربي، ويعدّ من إفرازات الاستعمار الفرنسي والثقافة الفرنسية التي أثرت في تفكيرهم، ويطلق على هذه اللغة الدّارجنسية أو العرنسية، وهي منحوتة من كلمتي: الدارجة أي: العامية، والفرنسية، أو العربية والفرنسية، ويقصد بها "ذلك السلوك اللغوي القائم على مزج العربية بالفرنسية، إلى حدّ تحولها إلى ظاهرة اجتماعية لغوية في الدول التي تشكل الفرنسية لغتها الثانية، ورغم أن ملاحظات السلوك اللغوي للمجتمعات المعاصرة تفيد أن تعلّم مجتمع ما للغة أجنبية لا يعني بالضرورة مزجها مع اللغة الوطنية، فمعرفة عموم سكان البلاد الإسكندنافية بالإنجليزية مثلا

لم يؤدّ بهم إلى ممارسة المزج اللغوي بينها وبين لغاتهم، كما هو الحال في ظاهرة (الفرنكو آراب) في مجتمعات المغرب العربي" (الذوادي، 2002، ص53).

7-أنواع المزج اللغوي:

يتخذ المزج اللغوي أشكالا وصورا، منها:

1- التواصل بلغة مع اللجوء إلى لغة ثانية باستعمال كلمة أو جملة وفق ما تتطلبه قواعد تلك اللغة.

ومن أمثلته في العامية ما لاحظناه عند كتابة أحد الطلبة في مواقع التواصل الاجتماعي منشورا تضمن العبارة الآتية:

من فضلكم خصني معلومة وقتاش آخر أجل تاع (La réinscription en doctorat)

فالطالب هنا يسأل عن موعد آخر أجل لإعادة التسجيل في الدكتوراه.

وفي منشور آخر يكتب أحدهم - لكن هذه المرة بالحرف اللاتيني – مع أن اللغة هجينة بين العربية العامية والفرنسية:

(Bon jour, svp wektech l'inscription de concours ta3 linguistique (anglais) et wachmn wilayat rayah ikoun fihom ?)

وترجمة العبارة هي: صباح الخير من فضلكم متى موعد التسجيلات في مسابقة اللسانيات (الإنجليزية) وما هي الولايات التي سيسجل فيها؟.

ومن الأمثلة التي وقفنا عليها من خلال بعض الحوارات التي وردت في قناة الشروق الجزائرية نجد:

- (هذي L injections نديروهم au niveau باش ينقصوا L'inflammation الداخل.)

والمقصود هنا أن هذه الحقن تستعمل على مستوى يقلل الالتهابات داخل الجسم أو العضو المريض.

- ومشينا Les jeux Olempiques 2016 Deux milles seize

يعني: أننا ذهبنا إلى الألعاب الأولمبية سنة 2016.

- اليوم صراحة je suis choquée par هذي Les réponses ، أي: اليوم بصراحة أنا مصدوم من هذه الإجابات.

Je pense اليوم ci la chance باه نرجعوا لهم الجميل (أظن اليوم حانت الفرصة لكي نرد لهم الجميل).

- هذي تجيبها لنا La prochaine fois (هذه أحضرها لنا المرة القادمة).

2-الإعارة:

وهي أسلوب يلجأ إليه المتكلم بأخذ كلمة أو عبارة من لغة ثانية ويحاول تكييفها لقواعد لغته التي يتحدّثها من حيث النطق والتراكيب(بونعمان، 2014، ص219).

ومن أمثلته في لغة التخاطب الجزائرية:

Par ce que - هوما اللي سوفراو (لأنهم هم الذين عانوا).

فكلمة سوفراو مأخوذة من الفعل:

suffrir ← عانى، ومصدره ← Sufrence

التي تعني المعاناة، فنلاحظ أن الفعل أخضع لقواعد التصريف في العامية،

ومثله الفعل نديماروا، أي ننطلق، أو نبدأ.

démarrer

8-أسباب التداخل:

تتعدّد أسباب التداخل اللغوي وتتشابك أحيانا، ويمكن أن نذكر أهمها:

8-1الاستعمار:

انتهج سياسة تعتمد على تجهيل الشعب الجزائري وفرنسته والقضاء على لغته هويته وكل معالم شخصيته العربية الإسلامية، فاستعمل شتى الوسائل والأساليب واستخدم طرقا مختلفة للقضاء على العربية والدين الإسلامي، فقد منع دخولها في المدارس وأقسام الدراسة، ومنع تعليمها وحلّت محلها الفرنسية لغة للتدريس، ولغة رسمية.

8-2-عوامل اجتماعية:

أضحت الفرنسية أداة صراع داخل المجتمع الجزائري بما خولتها لها الوظائف المسندة إليها في الإدارة والتعليم والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية وغيرها... فيجد الفرد الجزائري نفسه مضطرا للتعامل بها أو مزجها بلغته العربية حتى لا يظهر الفوارق الطبقية ويشعر بالدونية، فالظاهرة " متفشية ومتغلغلة في المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته، فالخلط بين العربية والفرنسية في مختلف مجالات التعبير دون أن يتقن الكثيرون منهم اللغة الفرنسية" (حساين، 2014، 429). بل قد نجد من يتعامل بلغة فرنسية خالصة خاصة في بعض القطاعات الإدارية والمالية والطبية، وإن كان قد بدأت تظهر ملامح التعامل المزدوج باللغتين وخاصة بعد تعريب التعليم.

ثانيا: الدراسات السابقة

نشير في البداية إلى أن هناك العديد من الدراسات التي تطرقت لموضوع أثر الألفاظ الأجنبية على اللغة العربية سنستعرضها فيما يلي، مؤثرين تقسيمها على قسمين: الدراسات العربية، والدراسات الجزائرية.

1-الدراسات العربية

- من الدراسات التي أجريت في الوطن العربي دراسة عاشور (1986) في مصر والتي كانت تهدف إلى معرفة نوع التأثير الذي يحدثه تعلم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة على مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأولى، وقد أجريت الدراسة بتطبيق مقياس مستوى النمو اللغوي على عينة من تلاميذ الصف الرابع والصف السادس الابتدائي الذين سبق لهم وأن التحقوا بالروضة مدّة عامين، وكان من نتائج تلك الدراسة: أن مستوى اللغة الأولى يتأخر عند الأطفال الذين يدرسون لغات أجنبية في سن مبكرة عن أقرانهم الذين لم يدرسوا اللغة الأجنبية، وأن هذا التأثير السلبي لتعلم اللغة الأجنبية في مرحلة مبكرة على مستوى النمو للغة الأولى للطفل يقل مع تقدم الطفل في العمر (آل حسين، 2021، ص202،203).

- وفي ذات السياق جاءت دراسة حنا (1976) الموسومة بـ (أثر تعلم لغة أجنبية (الإنجليزية) في تعلم اللغة القومية العربية)التي أجريت على تلاميذ الصف الرابع الابتدائي في مدارس حكومية لا تدرس اللغة الإنجليزية، فقد قام بتدريس اللغة الإنجليزية لمجموعة تجريبية لمدة ساعة يوميا، وتوصل إلى أنه لا يوجد تأثير سلبي لتعلم اللغة الإنجليزية على اللغة العربية على تلاميذ الصف الذين درسوا اللغة الإنجليزية، بل على العكس من ذلك فقد يؤدي ذلك إلى رفع مستوى التحصيل اللغوي للمهارات وبخاصة مهارتي الفهم والتعبير(حنا، 1976، ص36).

- ومن الدراسات كذلك دراسة فهد بن سعود آل حسين(2021) المعنونة بـ (أثر تعليم اللغة الأجنبية على اللغة الأم) فقد حاولت استقراء بعض الدراسات التي تناولت تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الأم، واستعملت أسلوب المقارنة بين مستويات الأطفال الذين يدرسون لغة واحدة والأطفال الذين يدرسون لغتين، وقد توصلت الدراسة إلى أنه لا وجود لتأثير سلبي على اللغة الأم في حال تعلم الطفل لغات أجنبية أخرى، وعدم تأثير اللغات الأجنبية على الجوانب المرتبطة بالمجتمعات وخصائصها كالهوية والانتماء الديني... (آل حسين، 2021،ص196).

وتختلف دراستنا عن هذه الدراسات كونها موجهة إلى فئة عمرية محددة، وهي تلاميذ المدارس الابتدائية من جهة، فهي موجهة بالأساس إلى دراسة تأثير تعلم اللغات الأجنبية على اللغة الأم في المراحل المبكرة من عمر الطفل، ومن جهة أخرى عالجت تأثير اللغة الإنجليزية على المتعلمين في حين كانت دراستنا موجهة لمعالجة تأثير اللغة الفرنسية على اللغة العامية الجزائرية دون تخصيص فئة معينة.

- ومن الدراسات التي عالجت الموضوع دراسة الفخراني (2012) الموسومة بـ (أثر اللغات الأجنبية على العربية المعاصرة)، التي عالجت أثر اللغات الأجنبية على اللسان العربي المعاصر على المستويات الاجتماعية والعلمية والإعلامية، ففي المستوى الاجتماعي على سبيل المثال تظهر في:

- كتابة كثير من اللافتات باللغة الأجنبية على المحلات والمؤسسات التجارية والفنادق والمطاعم وغيرها...
- انتشار ملابس الأطفال والشباب تحمل عبارات أجنبية.
- إسناد مهمة تربية الأطفال للمربيات الأجنبيات وبخاصة في دول الخليج.
- المعاملات الدولية التي تتم باستعمال اللغات الأجنبية في مختلف المجالات التجارية والصناعية والزراعية والسياسية وغيرها...(الفخراني، 2012، ص13، 14).

ومن النتائج التي توصل إليها: ضرورة إيجاد سياسة لغوية أو تخطيط لغوي رشيد يقضي على الظاهرة يشمل المؤسسات الوطنية ووسائل الإعلام.

أما على المستوى العلمي: فاستعمال اللغات الأجنبية ظاهر للعيان سواء على مستوى التأليف والتدريس في الجامعات وفي غيرها من مستويات التعليم أو في مجال الابتكار والاختراع العلمي والمنجزات الحضارية (الفخراني، 2012، ص19).

وعلى مستوى الإعلام والاتصال كالإذاعة والتلفزة والصحافة ووسائط التواصل الاجتماعي التي لا تخلو من ألفاظ أجنبية أو ترجمة لتلك الألفاظ، أو تأثر بالأساليب والعبارات، أو إخضاع بعض الخصائص التي تمتاز بها تلك اللغات إلى العربية(الفخراني، 2012، ص36).

2-الدراسات الجزائرية

- من الدراسات التي تناولت الموضوع دراسة مقدم (2020) المعنونة بـ (تغريب اللسان العربي وأثره على الهوية اللغوية والأمن اللغوي للمجتمعات العربية والإسلامية)، فقد عالجت تأثير اللغات الأجنبية على اللغة العربية من منظور الأمن اللغوي، إذ تتصدى العربية لهجمات شرسة من أبنائها وأعدائها، وذلك باتهامها بالقصور والعجز، وعدم قدرتها على مواكبة الراهن والواقع، وقد رأى أن اللغة العربية تعاني من أزمة الهوية اللغوية في ظل العولمة لكونها لغة للثقافة الإسلامية من جهة، ولغة أجنبية دولية من جهة أخرى(مقدم،2020، ص128، 131). وتأثير اللغات الأجنبية يبدو جليا من

خلال محاولة تغريب اللسان العربي، فالتغريب ليس إلا محوا للثقافة. كما أشارت الدراسة إلى بعض مظاهر هذا التغريب من حيث اللغة، ومنها على سبيل المثال الإعلانات التي تحمل أسماء أجنبية قد تكتب بالعربية أو بالأجنبية، بالإضافة إلى أسلوب الحوار الذي لا يخلو من بعض الكلمات الأجنبية التي تقحم إقحاما، مثل: أوكيه، وهاي، وباي باي...(مقدم، 2020، ص138).

- ومن هذه الدراسات أيضا دراسة ابن أباجي(2016) المعنونة بـ (الدخيل اللغوي في المنطوق الجزائري عند فئة الشباب مدينة تلمسان نموذجا دراسة معجمية دلالية). بين فيها أن المنطوق العربي الجزائري مملوء بالألفاظ الدخيلة من أصول مختلفة، كالأمازيغية والإسبانية والإيطالية والتركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية (ابن أباجي، 2016، ص ب). اختصت الدراسة بفئة الشباب، وركزت على الألفاظ الفرنسية وهو ما يتقاطع مع بحثنا من حيث تخصيصه إلى تأثير اللغة الفرنسية، وسعت إلى معرفة الألفاظ الدخيلة الفرنسية منها والإنجليزية المتداولة بين شباب مدينة تلمسان ومعرفة مدى تأثير وسائل الإعلام في لغة الشباب المستعملة.

وقد توصلت إلى بعض النتائج، أهمها: - أن الدخيل اللغوي الفرنسي أكثر استعمالا من الدخيل اللغوي الإنجليزي.

-الميدان التكنولوجي هو الميدان الأكثر استعمالا.

- المستوى الدراسي له دور كبير في استعمال الألفاظ الأجنبية في الكلام فكلما ارتفع المستوى الدراسي زاد استعمال الألفاظ الدخيلة الفرنسية والإنجليزية.

-تؤثر لغة البرامج التلفزيونية على الألفاظ التي يستعملها الشباب.

-ومن بين هذه الدراسات أيضا دراسة حفار(2016) المعنونة بـ (التخطيط اللغوي لتنقية اللسان العربي من الكلمات الفرنسية المعاملات التجارية في الجزائر نموذجا).أشار فيها إلى أهمية التخطيط اللغوي في تنقية اللغة العربية من الألفاظ الفرنسية في المعاملات التجارية (المجال التجاري)، وقد ذكر أمثلة على ذلك، منها اللافتات التجارية على المحال وواجهات المتاجر التي يرى أن كلا من التجار والزبائن -على حدّ سواء- يحبذون استعمال اللافتات باللغات الأجنبية. ولاحظ أن ذلك يشمل لغة تغليف المنتجات كذلك، فضلا على اللغة التي يتعامل بها التجار مع الزبائن، وقد بيّن في دراسته خطّة لتنقية اللسان العربي من الكلمات الفرنسية، منها: التحسيس بقضية الأمن اللغوي والتدريب النفسي، أي: تحضير المجتمع لتقبل اللغة العربية وإزالة الأوهام المغلوطة حولها. وقد خلص إلى أن تنقية اللغة العربية من الألفاظ الأجنبية لن يتحقق ما لم يدعمه قرار سياسي ملزم، وفق نصوص قانونية رسمية.

- ومن هذه الدراسات دراسة شعباني (2016) الموسومة بـ (اللغة العربية بين التبرج اللغوي والتحدي لمتطلبات تكنولوجيا المعلومات والعولمة). وتعني بالتبرج اللغوي: إدخال بعض الألفاظ أو الكلمات من لغة أجنبية أو ألفاظ غريبة ليس لها معنى عند التحدث باللغة العربية، وقد عرضت الدراسة نماذج لألفاظ مختلفة تستعمل في الشارع الجزائري وعند الشباب بخاصة قد تكون أجنبية أو قد تُمزج ألفاظ أجنبية مع أخرى عربية، وقد خلصت الدراسة إلى أن هذا النوع من الاستعمال اللغوي مناف للأخلاق، ويعد مشكلة من المشكلات التي تمس هوية الشعب الجزائري (شعباني، 2016، ص188).

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا من حيث لغة الفئة المستهدفة بالدراسة إذ كانت لغة الشارع الجزائري.

من الواضح أن هناك العديد من الدراسات قد تناولت هذا الموضوع وأثارت إشكالية تأثير اللغات الأجنبية على اللغة العربية وتأثر العربية باللسان الأجنبي، وقد تبيّن لنا من خلالها أن مجالات التأثير كثيرة، من أبرزها المجال الاجتماعي والتعليمي والعلمي والإعلامي، وتكاد تتفق على أن مجال الإعلام والإعلان التجاري والتعليم هي أبرز المجالات المستهدفة. ونستثني من ذلك دراسة حنا التي أكدت عدم وجود أي تأثير للغة الأجنبية على تعلم اللغة الأم.

ويمكن إجمالا أن نقول: إن دراستنا تتفق مع الدراسات المذكورة آنفا من حيث موضوعها الرئيس وهدفها العام، ولكنها تختلف من حيث الفئة المستهدفة واللغة المستعملة، فهي لم تقتصر على فئة المتعلمين مثلا أو فئة الشباب، ولكنها أخذت عينة من ألفاظ مستعملة في لغة التخاطب الجزائري بوجه عام.

اقتراض الألفاظ الأجنبية ضرورة أم بذخ لغوي؟

قد يقول قائل: إن أخذ المصطلحات والألفاظ من الفرنسية أو من غيرها من اللغات يعد من باب الاقتراض اللغوي الذي تعرفه كل اللغات بما فيها العربية الفصحى، وهو "من علامات تطوّر اللغات وحيويتها لأن اقتصار لغة ما على رصيدها الخاص يحرمها من الاستفادة من تجارب الآخرين ويفقدها القدرة على مجاراة نسق الحضارة والمشاركة فيها"(النصراوي، 2014، ص126). بل لا نكاد نحصي لغة بقيت محافظة على ألفاظها من دون الأخذ عن لغات الشعوب المجاورة لها. وقد عرفت العربية ذلك من قبل فما بالكم في عصرنا هذا الذي كثرت فيه الاختراعات وانتشرت فيه العلوم

والمعارف بشكل كبير، واتسعت فيه دائرة شبكات التواصل...

تعرّض بعض القدماء إلى جوانب ممّا ذكرنا فعلى سبيل المثال فقد أشار الجاحظ إلى هذا النوع بقوله:" ألا ترى أن أهل المدينة لمّا نزل فيهم ناس من الفرس من قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمّون البطيخ الخربز، ويسمّون السميط الزردق، ويسمون المصوص المزور، ويسمون الشطرنج الأشترنج في غير ذلك من الأسماء" (الجاحظ، 1984، ص19، 20).

ويضرب أمثلة مما استعمله أهل الكوفة وهو منقول عن الفارسية فيسمون المسحاة بال، ويسمون الحوك الباذروج ويسمّون السّوق والسويقة وازار، ويسمّون القثاء خيارا... (الجاحظ، 1984، ص19، 20).

فهذه الأمثلة وغيرها دليل على أن الاقتراض ضرورة قد تستدعيها حاجة اللغات للاستفادة من بعضها، فلا يمكن بحال من الأحوال نكرانه أو الاستغناء عنه لأنه عامل مهم من عوامل إثراء اللغة، وفي هذا الصّدد نذكر أن ما أشرنا إليه وما نود أن نستجليه هنا ليس مظهرا جديدا تنماز به لغة التخاطب الجزائري عن غيرها من اللغات بل هي ظاهرة قديمة –كما رأينا– عرفتها العربية مع لغات شعوب وحضارات مجاورة، ومحاذية لجزيرة العرب، فضلا عن أن ذلك ممّا تقتضيه حركة التبادل التجاري والاقتصادي واللغوي، وما يفضي إليه احتكاك الشعوب بعضها ببعض.

إننا في دراستنا هذه لا نسعى إلى إقامة الجدل حول أهمية الاقتراض من عدمها بقدر ما نهدف إلى بيان الإسراف في الاقتراض واستعمال الدخيل لضرورة أو لغير ضرورة، فقد أضحى ظاهرة بذخية وترفا لغويا يحقق أغراضا نفسية واجتماعية تحوله إلى ظاهرة "تنتقل وظيفتها من وظيفة ضرورية لحل مصاعب في الخطاب إلى وظيفة بذخية، يبدو فيها الاقتراض ضربا من التقليد، ولكنه مع ذلك يؤدي وظائف نفسية واجتماعية كالتأثر والإعجاب والتباهي باستخدام لغات أخرى، خاصة إذا كانت ذات قيمة حضارية"(النصراوي، 2014، ص129).

ونستمد رؤيتنا فيما ذهبنا إليه من اعتباره ظاهرة بذخية وترفا لغويا ممّا نجده في الاستعمال الجزائري باقتران لفظة من العامية بلفظة مقابلة بالفرنسية نحو:

- نورمال normalعادي، لاباس بخير، Çava
- ماشي عدل هذا، هذا ليس عدلا، ci pas légal
- كاين وكاين Ça dépend

وفي جملة وردت عند أحدهم قوله: (حنا كان خصنا victoire وحدة باه نقلعوا نديماريو).

فالملاحظ هنا أن نقلعوا هي بمعنى نديماريو، أي: ننطلق.

3-انتشار اللغات الأجنبية:

إن الوضع الذي تعيشه الأمة العربية في ظل انتشار اللغات الأجنبية وسيطرتها على العالم بفضل التكنولوجيا والعولمة، التي أسهمت بشكل كبير في التقارب بين الشعوب وسرعة التواصل بين أفرادها، وفي ظل الخصاصة في مجال المصطلحات والألفاظ التقنية التي تعرفها العربية، فإننا نجد هيمنة واضحة للغات الأجنبية في هذا المجال، فقد احتلت هذه اللغات أهمية كبرى بفضل سيطرة دولها على العالم اقتصاديا وسياسيا وتحكمها في مصادر العلم والتكنولوجيا والثقافة ومصادر المعرفة الحديثة، إن الانفتاح على العالم وتعلّم لغاته ضرورة تقتضيها الحياة العصرية، ويقتضيها التعامل اليومي والتبادل العلمي والمعرفي والتقاني والاقتصادي والتواصلي، لذلك كان من الضروري تعلّم اللغات الأجنبية لتحصيل جملة من المنافع وتوسيع مدارك المتعلمين وإثراء تجاربهم، غير أن تعاملنا -نحن الجزائريين- مع اللغات الأجنبية لا يتم وفق ما تتطلبه معرفة اللغات وتعلمها والاستفادة منها فحسب مما أسهم في انتشار عوامل الانسلاخ والتأثر بلغة الآخر.

9- تفسير الميل إلى التداخل:

إن الأسباب التي ذكرت آنفا في نشأة التداخل وحدوثه تؤثر في جوانب عدّة عند المتكلم، منها: الجانب اللغوي، والنفسي، والثقافي، والاجتماعي، وهذا من شأنه أن يبعث الرغبة لديه لمزج لغته باللغة الفرنسية التي يراها لغة علم وثقافة، ولغة مكانة اجتماعية واقتصادية، ولغة الطبقة المثقفة والطبقة العالية، في حين يرى أن لغته لغة المقهورين والضعفاء والأميين، وعلى هذا الأساس فإن استعمال اللغة الفرنسية - مهما كانت درجته - يعد أحد ملامح التخلف الثقافي إذ يُفقر اللغة الوطنية ويطمس معالمها الثقافية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن رغبة الفرد وحتى الجماعة في تحسين مكانتهم الاجتماعية عامل مهم في تفسير ظاهرة التقليد بين المجتمعات أو الثقافات، وهو ما يشعر الأفراد أو الجماعات ذوات المكانة الدونية بأنها أصبحت في مرتبة أسمى إذا تقمصوا خصائص الجانب المهيمن عليها وصفاتهم(بونعمان، 2014، ص212).

وتسهم لغة الإعلانات والإعلام بشكل كبير في انتشار هذه الظاهرة، فتعمل من حيث لا تدري على تحييد العربية بصورة غير مباشرة من الخطاب التداولي، وتعطي الألفاظ الأجنبية أهمية كبرى من دون الشعور بالخطر الذي يتركه" المسمّى الأجنبي الذي يعمل على

بناء تصور عن العالم ونمط من الوجود تقوم مرجعيته الأساسية وأحكام قيمته على التماهي مع حضارة الآخر دون النظر إلى ما يستبطنه هذا النهج من وبال على اللغة والثقافة العربيتين"(العناتي، برهومة، 2007، ص34).

وممّا وقفنا عليه حول هذه الظاهرة في أحد الإعلانات الإشهارية المتداول في القنوات التلفزيونية الجزائرية على سبيل التمثيل:

تجيب إحداهن:

-Oui بنتي راني في الـ bus أي ← نعم ابنتي إنني في الحافلة.

وفي حوار مع الطلبة في قناة النهار الجزائرية ورد فيه:

- Donc أنا عندي atelier نتاعي.

-أنتي عندك atelier نتاعك spécial ؟

- En beacaup plus واش رانا نتعلموا حنا ci latécnique

- Les projets لي راح نديروهم toujours نشوفوا الcoté تاع الناس واش يستحقوا، وقلنا علاش ما نديروش un appareil يعاون الناس ، ونشوفوا les problèmes اللي راهم يصراوا في بلادنا ونسيوا نحلوهم هذا هو le but اللي رانا نخدموا عليه.

فالملاحظ أن الألفاظ الأجنبية في النص المستشهد به هنا لها مقابلات عربية، بإمكان الطلبة استعمالها ومع ذلك نجد هذا الخلط في لغة التخاطب.واقتران الألفاظ الأجنبية بالألفاظ العربية سواء في الجمل أو الفقرات وحتى عند الاستفهام.

ويمكن أيضا تفسير الإفراط في هذا التداخل واستعمال الألفاظ والكلمات الأجنبية والأمازيغية وغيرها إلى الطابع الشفوي الذي تتسم به اللغة العامية، فيجد المتكلم حرية أوسع لا تخضعه إلى التقيّد الصّارم بالقواعد والقوانين التي تخضع لها اللغات.

وهو ما يفسر ميله إلى استعمال العامية بدل الفصيحة، إذ هو أمر فطري ومستساغ ذلك أن المتكلم يميل إلى الخفة والسهولة وعدم التكلف، فالمتكلم عندما يستعمل لغته الأولى الفطرية "العامية" يجد مفرداتها سهلة وتراكيبها لا تخضع لقواعد وقوانين صارمة كالفصحى، بالإضافة إلى سرعة استدعاء ألفاظها التي لا تتطلب جهدا كبيرا.

ثالثا: أثر استعمال الألفاظ الأجنبية على لغة التخاطب:

يؤثر التداخل اللغوي على لغة التخاطب فقد يمس:

1-نظام اللغة:

ممّا قرّره ابن خلدون في المقدمة قوله:" من خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، فعلى مقدار ما يسمعونه من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى"(ابن خلدون، د-ت، ص558).

ولا شك أن هذا مما يعاني منه الجزائري، فاللغات المتداولة في الواقع الجزائري تفرض على مستعمليها أنظمة لغوية متعدّدة تتشابك فيما بينها وتنتج أحيانا نظاما لغويا خاصا جديدا، هو في واقع الأمر مزيج من الأنظمة اللغوية بمستوياتها المختلفة فيحدث أن ينتقل المتكلم بين هذه الأنظمة" وكثيرا ما يكون غير واعٍ بهذه العمليات، فتأتي لغته زخرفا يشكّله بطريقة طبيعية ونفعية ووظيفية تحقيقا لغايته، وهي التعبير عما يريد، وتجتمع هذه الاستعمالات الفردية لتكوّن اللغة الجارية المميّزة لرقعة جغرافية معيّنة"(آيت عبد السلام، 2012، ص327).

ولا شك أن من آثار هذا التداخل التحول الذي يمس جميع أنظمة اللغة " فإن الضّيم الذي يدخل على اللغات إذا التقت في نفس اللسان إنما تكون نتيجته مظاهر من التداخل قد تُعدُّ – من زوايا معيارية-ضروبا من اللحن – وهذا شائع في تاريخ العربية – واليوم: يعدّ أغلبه من موقع لساني وصفي ولاسيما في مستوى الألفاظ دخيلا معرّبا، وقد أفادت منه العربية في جميع مراحلها ماضيا وحاضرا" (النصراوي،2012، ص114).

وتكمن الصعوبة عند المتكلم حينها في الالتزام بنظام واحد يسير وفقه ويضبط قواعده، والحال ههنا مراعاة قواعد متباينة في سياق واحد، عادة ما يؤدي إلى تداخل قواعد النظامين أي إذا كانت لغتان في اتصال فإن التداخل اللغوي يمكن أن يحدث في جميع المستويات من أبسط بنية صوتية إلى مستوى النحو والتراكيب (النصراوي،2012، ص119، 120)

2- الطلاقة اللغوية والتواصل:

إن استعمال المتكلم لأكثر من لغة في الخطاب الواحد يؤثر في تفكيره ويؤثر في لغته وثقافته، بل يؤثر على عملية التواصل التي قد لا تفي بالغرض ولا تحقق الهدف المنشود من العملية التواصلية، واستعمال مثل هذه الطريقة في الكلام والتفكير إن دلّت على شيء فإنما تدل على الفقر اللغوي والعوز الفكري والعجز التواصلي، ممّا يضطر المتكلم حينها إلى استعمال ألفاظ أجنبية أو مصطلحات علمية بلغة أجنبية لتقريب المفهوم وإزالة اللبس، فقد يكون الخلل أحيانا في أحد أطراف العملية التواصلية، لا في المتكلم، إنه إن تكن عملية التواصل مبنية بهذه الطريقة فهذا دليل على عدم القدرة على التبليغ، وعدم القدرة على التواصل، ممّا يؤكد ويرسّخ عدم إتقان أي لغة. فالجزائري لا يستطيع التخلي عن الخلط بين الفصيحة والفرنسية، وبين العامية والفرنسية فنجده يركب جملة بلغة ويدرج فيها كلمات من لغات أخرى، بل نادرا ما تجده يتحدث بلغة واحدة حتى وإن كان في مجلس رسمي مخطط له كالمقابلات

الصحفية والحصص الإذاعية والتلفزية، والمعاملات الرسمية والمحاضرات وغيرها... (آيت عبد السلام، 2012، ص329).

من ذلك ما ورد في هذه العبارات لوزير الشباب والرياضة عند زيارته لملعب كرة قدم:

-رانا الآن sur terrain

-حدّدنا الموعد النهائي port para الcalandrée الموجودة

-تسلم les clés تاع المؤسسة.

وفي حوار في قناة الهداف الجزائرية في حصة (بالمكشوف) جاءت فيه هذه العبارات:

-إقصاء مر très difficiles باش نتجرعوها.

- Donc هذي résultat مليحة

-باش تكون مسؤول لازم تكون très compétant

3-على المتعلم:

لا يقتصر التداخل اللغوي على لغة التخاطب عند طبقات معينة دون أخرى، إذ يتعدّى الأمر إلى المتعلمين والطلبة والمثقفين، فلا يخلو تعبيرهم من استعمال العامية والفرنسية لتحقيق الأغراض التواصلية وتبليغ المراد، مما ينتج خطابا لغويا هجينا مميزا بطابع خاص فعند الجامعيين والمثقفين نرى أن" كثيرا من التخصصات العلمية خاصة تدرّس بلغات أجنبية ممّا يجبر الطلبة على التناوب في استعمال المصطلحات بلفظها الأجنبي والمصطلحات التي لا مقابل لها" (العناتي، برهومة، 2007، ص114-116). ولا يعني هذا أننا ندعو إلى الاقتصار على العربية من دون الاستفادة من اللغات الأجنبية ذات المكانة العلمية، إذ بات من الواضح أن الاقتصار على اللغة الوطنية في التعليم وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي جميع الميادين أمر مستبعد، وضرب من الخيال في عالم هيمنت عليه العولمة وتشابكت فيه العلاقات بين الأمم التي صارت تحتاج إلى التواصل وتبادل المنافع بينها، وإن اللغة أهم وسيلة للتواصل.

لا جرم أن تعلم لغة الآخر والاستفادة منه أمر لابد منه وضرورة لا غنى عنها فقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلّم لغة اليهود لحاجة اقتضتها تلك المرحلة، كما أن الترجمة التي أخذت شأنا كبيرا وذاع صيتها في العهد العباسي كان لها أثر في نقل علوم وحضارات الأمم الأخرى وثقافاتها إلى العربية، ولا يكون ذلك إلا بتعلّم تلكم اللغات والاطّلاع على ثقافتها ومنجزاتها العلمية والحضارية.

على أنه يبدو لنا ممّا نشاهده وممّا نقوم به في تعاملاتنا مع اللغات الأجنبية مجانب لما ينبغي أن يكون، إذ هو مؤثر على شخصية الفرد والطفل الجزائري، فتعلمنا للفرنسية وتعاملنا بها لا يقوم على أساس أنها لغة أجنبية ثانوية نستفيد منها، أو نجعلها لغة وظيفية؛ وإنما نتعامل معها على أساس أنها لغة وطنية الأمر الذي يجعلها تؤثر في شخصية الطفل وتؤثر في تغريبه وصبغة بصبغة أجنبية غربية من دون أن نقدّم له ما ينفعه في حياته العلمية (الزين، 1998، 114).

إننا لا نعترض على الفرنسية بوصفها لغة أجنبية غريبة عن المجتمع الجزائري فحسب وإنما نعترض على المكانة التي تحتلها في العقول والقلوب، وعلى تأثيرها اللامحدود في الثقافة والتفكير والسلوك لدى عامة الجزائريين، ولدى موظفي الإدارات العمومية وصانعي القرار على وجه الخصوص، وعلى إنزالها منزلة العربية واعتبارها لغة وطنية رسمية، وهناك سبب آخر يدعم هذا الاعتراض، وهو "سيطرتها غير المشروعة على الحاضر والمستقبل خاصة في زمن لم تعُد تتمتّع فيه بأية قيمة في العالم بعد أن تغيّرت خريطة القوى وانحدرت مرتبتها إلى لغة قليلة الشأن في الاقتصاد والثقافة والعلاقات الدولية"(بونعمان، 2014، ص178، 179).

إننا نرى أن تعلم اللغات الأجنبية والاستفادة منها والتواصل بها يجب أن يبقى في الإطار الذي ذكرناه من دون إعطائها أكثر من حجمها أو تفضيلها على اللغة العربية، ذلك أن الاهتمام باللغات الأجنبية ووضعها في مقام العربية وإنزالها المنزلة نفسها له تأثير على تكوين الفرد ممّا يجعله عرضة للانفصام في الشخصية وعرضة للمسخ والانسلاخ.

وهو ما نلاحظه في هذا الجيل؛ إذ أنتجت طريقة الكلام هذه" جيلا مهزوزا في شخصيته وعقليته، ضعيفا ومهزوزا على مستوى اللغتين، فالطالب اليوم في الثانوية أو الجامعة لا يمكنه الحديث بالعربية لوحدها لأنه لا يتقنها، ولا بالفرنسية لوحدها كأنه قد أصابه عسر لغوي، بل نجد عنده هجينا لغويا مشينا امتزجت فيه الفصحى بالعامية بالأمازيغية بالفرنسية على جميع المستويات، لا يحمله لا مصطلح "التعدد اللغوي" ولا "الازدواج اللغوي" لأنه مزيج من الأنظمة والمستويات اللغوية المختلفة، وكل هذا –ربما- يعكس تفككا وتعقدا اجتماعيا ونفسيا"(مصطفاي، 2012، ص312).

4- ظهور عوامل نفسية وثقافية واجتماعية:

إننا -في بلاد المغرب العربي- لم نتخلص بعد من رواسب الثقافة الغربية، ورواسب الاستعمار الذي تغلغلت جذوره في ثقافتنا وفي تفكيرنا وأصابنا بعقد نفسية كثيرة، منها الشعور بمركب النقص تجاه كل ما هو عربي وإسلامي، فالفرنسية ما فتئت مقرونة في أذهان

الناس بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي، وهي عند مزدوجي الثقافة والتعليم لغة التطور والحداثة، في الوقت الذي يرون فيه أن العربية لغة الدين والشعر والتقاليد، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تتطور وتصبح لغة العلم والحداثة (بونعمان، 2014، ص205).

فما تعاني منه الشعوب المغاربية على وجه الخصوص هو ما يعرف بالتخلف الآخر الذي هو "نسق تتفاعل فيه عناصر الجانب الثقافي مع عناصر الجانب النفسي وفق نمط تبادلي، ويتمثل هذا التفاعل المتبادل في كون الشعور بمركب النقص الذي يحيل على التخلف النفسي يؤثر بدوره على عمليتي التخلف اللغوي والتخلف المعرفي العلمي، فشعور الفرد المغاربي بمركب النقص إزاء الفرنسي الغالب يصبح دافعا مهما لتعلم اللغة والثقافة الفرنسيتين، ومن جهة أخرى يصبح سببا يساهم في تكوين عقدة الاحتقار للغة والثقافة الوطنيتين" (بونعمان، 2014، ص211).

ولا نكاد نجد كبير اختلاف فيما ذهب إليه المعتوق من أن هذا عامل مؤثر قد يؤدي إلى " تشويش لغة الناشئة، وتقديم صورة منحطة عن لغتهم العربية، فيحملهم ذلك على ازدرائها والزهد فيها، وهو الشيء الذي ظهرت بوادره في إنتاج جيل ضعيف في اللغة العربية لا يقدر أن يبدع ولا أن يفكّر بها، هذا الوضع الذي قد يؤدي مستقبلا إلى مسخ اللغة والبعد بها عن الأصل أو تحويلها إلى لغة هامشية فاقدة الهوية، معرّضة للانزواء والانكماش" (المعتوق، 2000، ص522).

ولندرك حجم التأثير الذي خلفته اللغة الفرنسية على لغة التخاطب الجزائرية أدرجنا عينة من لغة الاستعمال اليومي التي تبدو فيها الهيمنة اللغوية للفرنسية واضحة.

اللفظ العربي	اللفظ الفرنسي	اللفظ المتداول
قلم حبر	Stylo	Stylo
قلم رصاص	Crayon	Crayon
محفظة	Cartable	Cartable
ممحاة	Gomme	Gomme
آلة حاسبة	Calculatrice	Calculatrice
سجل	Registre	Registre
طاولة	Table	طابلة
مكتب	Bureau	Bureau
مئزر	Tablier	طابلية

جدول 1- يتضمن ألفاظا في مجال المدرسة-

فاللفظ الغالب في الاستعمال هو اللفظ الأجنبي، وأحيانا يلفظ اللفظ بالعامية بعد إخضاعه لقواعدها كما في طابلة وطابلية.

اللفظ العربي	اللفظ الفرنسي	اللفظ المتداول
مكنسة	Balais	بالية
غرفة	Chambre	شمبرة
مطبخ	Cuisine	كوزينة
حمام	douche	Douche
مكيف هوائي	climatiseur	climatiseur
سخان	chauffage	chauffage
مجمدة	congélateur	congélateur
ثلاجة	réfrigérateur	فريجيدار – فريڤو
مصباح	lampe	لامبة
غطاء فراش	drap	drap
منديل ورقي	papier de mouchoir	بابي مشوار
منشفة	serviette	سرفيتة

جدول 2 -مجال ألفاظ في المنزل-

اللفظ العربي	اللفظ الفرنسي	اللفظ المتداول
سيارة	Automobile	طومبيل، لوطو
شاحنة	Camion	Camion

قطار	Train	ماشينة
طائرة	Avion- vole	vole
حافلة	Car	Car
رخصة سياقة	Permis de conduire	برمي
بنزين	Essence	Essence
ذهاب وإياب	Aller retour	Aller retour
حجز	Réservation	Réservation
تذكرة	Biller	Biller
محطة	Gare – station	Gare – station
طريق سيار	Auto route	Auto route

جدول 3 -مجال وسائل النقل-

أما فيما يتعلق بأجزاء السيارة وقطع الغيار وإصلاحها فمن النادر أن نستغني عن استعمال الألفاظ الأجنبية، وفيما يلي عينة من ذلك:

اللفظ العربي	اللفظ الفرنسي	اللفظ المتداول
محرك	moteur	-
ميكانيكي	mécanicien	-
كهربائي	électricien	-
مصفاة	filtre	-
مكبح	Un frein	-
الصندوق الخلفي للسيارة	coffre	-
علبة السرعة	boite de vitesse	-
تغيير الزيت	vidange	-
بطارية	batterie	باطري
السير للخلف	marche arrière	-
قطع الغيار	pièces de rechange	-
الزجاج الأمامي	Pare-brise	-
مبرّد السيّارة	radiateur	-
شمع	bougie	-
إطار	pneu	-
عجلة	Une roue	-
عجلة القيادة	Volant	-
صدام أو واقي الصدمات	Un Pare chocs	-
مضخة ماء	Pompe à eau	-
عجلة احتياطية	Une roue de secoures	-
عدّدا السرعة	Compteur	-
حزام الأمن	Ceinture de sécurité	-
فرملة اليد	Un frein à main	-

جدول4 -أجزاء السيارة وقطع الغيار-

فكل الألفاظ الواردة في الجدول تبقى بصيغتها الأجنبية عدا لفظة باطري التي حورت قليلا.

اللفظ المتداول	اللفظ الفرنسي	اللفظ العربي
باطري	batterie	بطارية
شارجور	chargeur	شاحن
بورطابل	portable	محمول هاتف
بيس	puce	شريحة

ريزو	réseaux	شبكات
كونيكسيو	connexion	اتصال
كونكتي	connecté	يتصل
فليكسي	fluxé	تعبئة الرصيد
خارج مجال التغطية	hors champ	

جدول 5 -مجال الهاتف المحمول-

إن ما يمكن أن ننتهي إليه من خلال تتبعنا لهذه الجداول هو أن لغة الجزائري لا تخلو من استعمال الألفاظ الفرنسية، التي قد تتفاوت نسب تكرارها وتواترها من مجال إلى آخر، وهو ما يجعلها من أكثر اللغات صعوبة عند التواصل مع الآخرين خاصة المشارقة.

خاتمة:

لقد مرّت فترة طويلة على استقلال الجزائر ومع ذلك مازال تأثير اللسان الفرنسي باديا على لغة التخاطب الجزائرية ممّا ترك مشكلات في التواصل خاصة مع العرب الذين ليست لهم دراية بالفرنسية.

وممّا يمكن أن نستنتجه من خلال طرقنا لهذا الموضوع:

-أثرت بعض الظواهر اللغوية التي يتميّز بها الواقع اللغوي الجزائري على لغة التخاطب اليومي، كالتعددية، والازدواجية، والمزج اللغوي، وغيرها...

-الحملات التي تعرضت لها الجزائر والهجرات والتنقلات الجماعية، وحالات الغزو والاستعمار أسهمت في تعدّد اللسان الجزائري وتميّزه بهجين لغوي من لغات مختلفة، نلمسها في أداءات المتكلمين الجزائريين، وتخاطباتهم الشفوية.

- تأثرت لغة التخاطب الجزائرية بالفرنسية أيّما تأثر، وقد أسهمت عوامل عدّة في ذلك، من بينها سياسة الاستعمار التي عملت على طمس الهوية الجزائرية، والقضاء على العربية واستبدال الفرنسية بها، أو إحلال العامية مكانها، فحيّدت العربية من التعليم والإدارة، ومن مختلف مجالات الحياة.

- بالرغم من أن الاقتراض اللغوي ظاهرة لغوية قديمة عرفتها العربية مع لغات شعوب وحضارات مجاورة، وتعرفها كل اللغات للحاجة الماسة إلى استعمال المصطلحات والمستجدات والمستحدثات التي تنتجها الأمم والحضارات، ومما تقتضيه حركة التبادل التجاري والاقتصادي والعلمي وما يفضي إليه احتكاك الشعوب مع بعضها؛ إلا أنه في الواقع اللغوي الجزائري أضحى ظاهرة بذخية وترفا لغويا يحقق أغراضا نفسية واجتماعية كالتأثر، والإعجاب والتباهي.

-للتداخل اللغوي -الذي هو أحد مظاهر التأثر بالفرنسية- أسباب كثيرة، من أبرزها الاستعمار وبعض العوامل الاجتماعية، وهو يؤثر من دون شك على عدّة جوانب عند المتكلم الجزائري، منها: الجانب اللغوي، والنفسي، والثقافي، والاجتماعي، فهو يرى الفرنسية لغة علم وثقافة وذات مكانة اقتصادية واجتماعية، ممّا لا يراه في لغته العربية.

-أسهمت لغة الإعلانات والإشهارات والإعلام في انتشار اللغات الأجنبية بوجه عام، واللغة الفرنسية على وجه الخصوص في لغة التخاطب اليومي، بما تستخدمه من ترويج بالملصقات والإعلانات التجارية على المنتوجات، من دون الشعور بخطورة المسمّى الأجنبي على اللغة المتداولة.

-إن الطابع الشفوي الذي يميّز لغة التخاطب الذي لا يتقيّد بالقواعد والقوانين الصارمة، ويتساهل فيها أحيانا أتاح حرية كبيرة ومجالا واسعا لاستخدام الألفاظ الأجنبية.

- ونلمس أثر استعمال الألفاظ الفرنسية في لغة التخاطب الجزائرية على مستويات، منها: نظام اللغة الذي أضحى مزيجا من أنظمة لغوية متعدّدة بالإضافة إلى التأثير على التواصل، إذ إن استعمال أكثر من لغة في الخطاب الواحد قد يكون سببا في عدم تحقيق العملية التواصلية أهدافها، هذا مع التأثير على المتعلم الذي ضاع في غالب الأحيان بين عدّة لغات لا يحسن في أحسن الأحوال التواصل بإحداهن من دون اللجوء إلى لغة أخرى.

-وممّا زاد من تأثير الفرنسية على لغة التخاطب أننا نتعامل معها ونتواصل بها كأنها لغة وطنية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- آل حسين، فهد. (2021). أثر تعليم اللغة الأجنبية على اللغة الأم. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (عدد10)، ص196-219.

- آيت عبد السلام، رشيدة. (10، 11أفريل 2012). *إسهام التعددية اللسانية في تعليم اللغة العربية*، مؤتمر

التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر.
- ابن أباجي، أمينة. (2016). *الدخيل اللغوي في المنطوق الجزائري عند فئة الشباب مدينة تلمسان نموذجا دراسة معجمية دلالية*. دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.
-أنيس، إبراهيم. (2003). *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
-بوقرة، بلقاسم. (2003). *من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
-بو نعمان، سلمان. (2014). *النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرنكفوني في نقد الاستعمار اللغوي الجديد-حالة المغرب-*. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات.
-الجاحظ، عثمان. (1984). *البيان والتبيين* ج1. القاهرة.
-ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1956). *الخصائص*. (ط2). القاهرة: المكتبة العلمية.
-الحاج صالح، عبد الرحمن، (2012). *السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة*. الجزائر: موفم للنشر.
-الحاج صالح، عبد الرحمان. (2012). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. الجزائر: موفم للنشر.
-حفار، عز الدين. (2016). التخطيط اللغوي لتنقية اللسان العربي من الكلمات الفرنسية المعاملات التجارية في الجزائر نموذجا. *مقاربات*، ج4(عدد2)، ص104-110.
-حساين سهام، (10، 11أفريل 2012). *التعدّدية اللسانية وأثرها على المجتمع الجزائري*، مؤتمر التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر.
-حنا، فاروق. (1976). *أثر تعلم لغة أجنبية (الإنجليزية) في تعلم اللغة القومية العربية*، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة عين شمس، القاهرة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2004). *المقدمة*. القاهرة: دار الفجر.
-داوود، محمد. (2001). *العربية وعلم اللغة الحديث*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
-الذوادي، محمود. (2002). التخلف الآخر: عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث. تونس: الأطلسية للنشر.
-الزين، نزار. (1998). *تعريب التعليم وتعلّم اللغات الأجنبية*. بيروت: شركة المطبوعات التوزيع والنشر.
-الفخراني، أبو السعود. (2012). أثر اللغات الأجنبية على العربية المعاصرة، *مجلة كلية اللغة العربية* بإتاي البارود، ج2(عدد1)، ص9- 52.
-سعيد، عبد التواب مبروك. (1997). *اللسان العربي الهوية، الأزمة، المخرج*. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.
-شعباني، مليكة. (2016). اللغة العربية بين التبرج اللغوي والتحدي لمتطلبات تكنولوجيا المعلومات والعولمة. *الممارسات اللغوية*، ج7(عدد4)، ص171-194.
- بلعيد، صالح. (2001). اللغة العربية والعولمة. *مجلة اللغة العربية* المجلس الأعلى للغة العربية. ج3(عدد1)، ص140-159.
-مصطفاي، يمينة. (10، 11أفريل 2012). *اللغة الفصحى وقربياتها: تعايش سلمي واحترام متبادل*، مؤتمر التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر.
-المعتوق، أحمد محمد. (2000). *نظرية اللغة الثالثة*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
مقدم، محمد. (2020). تغريب اللسان العربي وأثره على الهوية اللغوية والأمن اللغوي للمجتمعات العربية والإسلامية. *مجلة مقامات*. ج4. (عدد2). ص 128-163.
-النصراوي، الحبيب. (10، 11 أفريل 2012). *الاحتكاك اللغوي وأثره في العربية الحديثة عربية تونس نموذجا*، مؤتمر التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
-وليد، العناتي، عيسى، برهومة. (2007). *اللغة العربية وأسئلة العصر*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.